عارض التقديم والتأخير بين عناصر الجملة الاسمية ودلالته " في القرآن الكريم "

عبد العزيز احمد الجفّان *

(تاريخ الإيداع 1 / 9 / 2020. قبل للنشر في 1 / 11 / 2020)

□ ملخّص □

تتناول هذه الدّراسة عارض التقديم والتأخير بين عناصر الجملة الاسميّة في القرآن الكريم محاولة تبيين مفهومها وأهميتها؛ إذ يعد التقديم والتأخير وسيلةً من وسائل إنتاج المعنى ويخضع لقصديّة المتكلم، وإرادته في التعبير عن المعاني الكامنة في داخله وما يريد إيصاله؛ لذلك تراه أكثر خضوعا للمعنى ؛ لأنّ بناء الجملة في اللغة له أنماط معينة، أما الاختيار والطريقة فهما خاضعان لقصدية المتكلم بهدف غرض بلاغي أو إبلاغي؛ فكلّ اختلاف في ترتيب الجملة يترتب عليه اختلاف في المعنى كما أنّ الترتيب وأهميته في أداء المعنى خاضع للسياق ودلالته على الموقف الوارد فيه. فتتحدد الغاية من التقديم والتأخير بحسب المراد من الكلام فقد يكون للعناية والاهتمام، أي: ما قدمته كنت به أعنى، ولربما كان للاختصاص، وليس معنى الاهتمام تقديم ما هو أفضل وأشرف، بل قد يكون تقديم المفضول هو موطن الاهتمام، فالقرآن الكريم لا يقدم أو يؤخر على حساب المعنى، بل إن التقديم والتأخير كلّه يُراعى فيه جانب اللفظ والمعنى .

والمتكلم يُقدم ويؤخر ويرتب ألفاظه بحسب معانيه دون أن يخضع لنظام اللغة؛ لأنّه يعمد إلى الحرية في التعبير بغية إيصال معانيه إلى المتلقي ، وهذا يتيح له الخروج على الأصل المقرر اتساعاً لا شذوذاً، وهو ما نسميّه عوارض الجملة.

وقد قُسِّم البحث إلى ثلاثة أقسام وهي: عارض تقديم الخبر على المبتدأ، وعارض تقديم خبر الأفعال الناقصة على اسمها، وعارض تقديم خبر الأحرف المشبهة على اسمها، وجاءت الدارسة وفقاً لما وجدته من شواهد تمثّله في القرآن الكريم ، وما لبعض النحاة في مسائله من خلافات، محاولاً بسط الآراء ما أمكن.

* حاصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية– كلية الآداب– جامعة تشرين– اللاذقيَّة– سورية.

Appositive Preceedingand Delaying Between Noun Sentence Elements And Their Indication In The Holy Quran

Abdul-Aziz ahamad Al jaffan *

(Received 1 / 9 / 2020. Accepted 1 / 11 / 2020)

□ ABSTRACT □

This study deals with the impedance of introducing and delaying the noun sentence elements in the Noble Qur'an in an attempt to clarify its concept and importance. As introduction and delay are one of the means of producing meaning, and it is subject to the intentionality of the speaker, and his will to express the meanings latent within him and what he wants to convey; So you see it as more subject to meaning. Because the syntax in the language has certain patterns, as for the choice and the method, it is subject to the intention of the speaker for a rhetorical or informative purpose; Each difference in the order of the sentence entails a difference in the meaning, just as the arrangement and its importance in performing the meaning is subject to the context and its indication of the position contained in it.

.The purpose of the presentation and the delay is determined according to the intent of the speech. The presentation is related to the positions. The presentation and the delay may be due to the care and attention, that is: what you presented I mean, and maybe it was for the competence, and the interest does not mean to provide what is better and more honorable. Take into account the aspect of pronunciation and meaning.

And the speaker introduces, delays and arranges his words according to their meanings without submitting to the language system; Because it intends to freedom of expression in order to convey its meanings to the recipient, and this allows him to deviate from the original established expansion rather than an anomaly, which is what we call the symptoms of the sentence.

The research was divided into three parts, which are: He opposed presenting the news to the initiator, opposed the presentation of the news of the missing actions in its name, and he opposed the presentation of the news of the similar letters in its name. Trying to simplify opinions as possible.

* **PhD in Arabic Language - Faculty of Arts - Tishreen University, Lattakia .**

مقدمة:

يُعدّ التقديم والتأخير من أهم مباحث النحو والبلاغة؛ لذلك تجد الدارس له يبحث في بناء الجمل، وكيفية صياغة العبارات، ويتأمل التراكيب، ليكشف و يبرز ما يكمن وراءَها من أسرار ومزايا ونكت بلاغية، فالمعنى الحاصل في الجملة ليس ناتجاً عن رصف مجموع معاني المفردات التي تتشكل وتتألف منها، بل هو ناتج عن تركيب هذه المفردات في نمط معيّن، بحسب قواعد لغوية محددة ومعروفة وراسخة في ذهن المتكلم ونفسيته((فالتقديم والتأخير يرجع إلى فنيّة الأديب، وهذه الفنيّة المتشابكة مع حسّه الشعوري واللاشعوري، هي التي تدخل في التركيب اللغوي للعبارة، قد يكون منها ما سبق من أمثلة –أي أغراض التقديم والتأخير– وقد يكون منها ما هو أدق وأخفى، وعلينا أن نستنبت من السياق العام ما نستطيع إدراكه))[1] فنظم الجملة وكيفية ترتيب الأجزاء فيها، مما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار؛ ذلك لأنّ المعنى إنّما يتولد فقط من ترتيب الألفاظ والعبارات، ومعنى هذا أنّ لكل تركيب نظمه وترتيبه، ومواقع ألفاظه .

فالترتيب والترابط في الكلام ووضع كلٍّ كلمة في الجملة في مكانها المناسب، يُعدّ من أهم خصائص البلاغة والبيان، وعلى هذا فكثير من الكلمات لو قدمتها أو أخرتها عن محلها في النظم لتغيّر عليك المعنى الذي تريد، أو غاب جماله وفقدَ رونقه، لأنّ تقديم اللفظ وتحويله من مكان إلى آخر يغيّر المعنى. ولكن تغيير المعنى بتقديم اللفظ، وتحويله عن مكانه، لا يكون اعتباطيّاً في الكلام، وإنّما يتم وفق أسس وضوابط –ذكرها النحاة– وأغراض يقصد إليها المتكلم –ذكرها البلاغيون– فيقدم في الكلام ما يريد التنبيه عليه والالتفات إليه، ويؤخر ما لم يرد فيه ذلك. والقرآن الكريم يمتاز بالدقة في اختيار الكلمة، والدقة في اختيار موقعها، فإذا قدّم كلمة على أخرى فلحكمة لغويّة وبلاغيّة تليق بالسياق العام. إذاً فلكل كلمة في موضعها من الجملة معنى، متقدمة كانت أم متأخرة. والقرآن الكريم هو كلام الله الخالق المعجز للخلق، في أسلوبه ونظمه، وفي روعته وبيانه، وقد أجمع أهل العربية على أن القرآن مُعجز بذاته، لفصاحة ألفاظه، ورَوعة بيانه، وأسلوبه الفريد، فالإعجاز فيه واسع، ومن مظاهر هذا الإعجاز(أسلوب التقديم والتأخير)، ويمثل التقديم في بناء الجملة ركيزة أساسية في بلاغتها وتحقيق غاياتها، وإصابة غرض المتكلم لتحقيق التواصل بينه وبين المخاطب. لذا نسعى في هذا البحث إلى دراسة عارض المطابقة في الجملة الاسمية ضمن السياق اللغوي وليس من خارج النص، وفي هذا ما يسوِّغ الدّراسة ويشير إلى أهميتها في الدراسات التي تسعى إلى ربط النحو بعلمي الدلالة والبلاغة.

أهمية البحث وأهدافه:

تنبع أهمية البحث؛ من أنّه يطلعنا على موضوع يتعلق بتركيب الجملة العربية، وما يعرض لهذه الجملة من عوارض وعدول بحيث يجعلها تخرج على الأصل في تركيبها، ودراسة هذه الظاهرة في نص القرآن الكريم، وربطها ما أمكن بالبلاغة العربية، وذلك لربط الدراسة بين علمي (النحو، والبلاغة). ويهدف البحث إلى الوقوف على عارض التقديم والتأخير واستخدامه وتأثيره في تركيب الجملة، وإلى عرض نماذج للجملة العربية التي خرجت على الأصل، وبيان سبب هذا الخروج .

[1]– د. عيد، رجاء، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، د.ت، ص79 .

منهجية البحث :

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في القرآن الكريم، وتضمّن منهج البحث مستويين من الدراسة :

1- المستوى النظري : وتمّ من خلال استقراء الأمات في النحو واللغة حول التقديم والتأخير.

2- المستوى التطبيقي : واتكأ البحث على استخراج شواهد من القران الكريم ظهر فيها عارض التقديم والتأخير.

عارض التقديم والتأخير بين عناصر الجملة الاسمية ودلالته

" في القرآن الكريم "

العارض:

العارض في اللغة كما جاء في لسان العرب هو :"كُلُّ مانِعٍ مَنَعَك مِنْ شُغْلٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الأَمراضِ، فَهُوَ عارِضٌ. وَقَدْ عَرَضَ عارِضٌ أَي حَالَ حائلٌ ومَنَعَ مانِعٌ؛ وَمِنْهُ يُقَالُ: لَا تَعْرِضْ وَلَا تَعْرَض لِفُلَانٍ أَي لَا تَعْرِض لَهُ بمَنْعِك باعتراضِك أَنْ يَقْصِدَ مُرادَه وَيَذْهَبَ مَذْهَبَهُ. وَيُقَالُ: سَلَكْتُ طَرِيق كَذَا فَعَرَضَ لِي فِي الطَّرِيقِ عَارِضٌ أَي جَبَلٌ شَامِخٌ قَطَعَ عَلَيَّ مَذْهَبِي عَلَى صَوْبِي"[1]. وفي المعجم الوسيط:(الْعَارِض) مَا اعْترض فِي الْأُفق فسده من جَرَاد أَو نحل، و العارض السحاب المطل وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز﴿قَالُوا هَذَا عَارض مُمْطِرنَا﴾ (الأحقاف:24) .... والحائل وَالْمَانِع يُقَال عرض لَهُ عَارض. والعارض الثنية من الْأَسْنَان وَهِي الثنايا (ج) عوارض وَيُقَال امْرَأَة نقية الْعَوَارِض... وَيُقَال إِجَازَة عارضة يمنحها الموظف لعَارض طَرَأَ لَهُ"[2]. والعارض في الاصطلاح هو أي تغيير يطرأ على بناء الجملة سواء أكان مكتوباً أم منطوقاً، فيجعله غير مطابق للبنية الأساسية في الظاهر، لإفادة معنى إضافي لا يتمّ بلوغه إلا عن طريق هذا التغيير.

التقديم في اللغة :

عند بحثي عن مادة (قَدَمَ وأَخَرَ) في المعاجم العربية، وجدت أنَّ لها معاني عديدة، من هذه المعاني ما ذُكر في معجم العين من قوله:((القُدْمَة والقُدمُ أيضاً: السابقةُ في الأمر وقوله تعالى:﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(يونس:2)أي: سبق لهم عند الله خير، وللكافرين قدم شر.....والقِدَمُ: مصدر القديم من كل شيء، وتقول: قَدُمَ يَقْدُمُ، وقَدَمَ فلان قومه، أي: يكون أمامهم.... والقُدُم المضي أَمَامَ أمام، وتقول: يمضي قُدُماً أي لا ينثني....، ورجلٌ قُدُم: مقتحم للأشياء يتقدم الناس، ويمضي في الحرب قُدُماً...، ولم يأتِ في كلامهم مُقدَّمٌ ومؤخرٌ بالتخفيف إلا مُقْدِم العين ومؤخرها، وسائر الأشياء بالتشديد))[3].

وقال الزمخشري:((قدَّمْته و أَقْدَمْتهُ ، فقَدَّم وأَقْدَمَ بمعنى تقدّم ومنهُ مقدِّمةُ الجيش للجماعة المتقدِّمةِ والإِقْدَام في الحرب))[4].

وجاء في لسان العرب ((وفي أسماء الله تعالى المُقدِّم هو الذي يُقدِّم الأشياء، ويضعها في مواضعها فمن استحق التقديم قدَّمَهُ، والقديم على الإطلاق، الله عزّ وجلّ...،والقِدَمُ نقيضُ الحدوثِ ..))[5]، والتأخير عكس التقديم. ويبدو أنّ المعاني

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د،ط)،1956م،مادة (عرض).

[2]- مصطفى، إبراهيم، وآخرون. المعجم الوسيط، دار الدعوة، (د،ط)،(د،ت)،مادة(عرض).

[3]- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين ،تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال(د،ت)، مادة (قَدَمَ) .

[4]- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق :محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان،ط1، 1419 هـ /1998م 58/2.

[5]- ابن منظور، لسان العرب، مادة قَدَمَ.

المعجميّة الآنفة الذكر في أغلبها تشير إلى دلالة مشتركة في معنى التقديم وهو السبق والسابق في كل شيء والمجيء أولاً.

التقديم في الاصطلاح :

لعل الباحث في كتب اللغة والنحو يلاحظ إشارات إلى التقديم تتجلى ضمن ذكرهم لهذا الأسلوب من خلال التطبيق على الشواهد والأمثلة الموروثة، فقد ذكر بعض العلماء كلاماً عن هذا الأسلوب، كقول العسكري(395هـ):((وتجد اللفظة لم تقع في موقعها ولم تصل إلى مركزها ولم تتصل بسلكها وكانت قلقة في موضعها نافرة عن مكانها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها))[1]، أمّا الجرجاني فقد قال:((فتجد سبب أنْ راقك ولَطُفَ عندك، أن قُدّم فيه شيء وحول اللفظ عن مكانٍ الى مكان))[2]، فالجرجاني يرى أنّ التقديم هو تحويل اللفظ من مكانهِ الى مكانٍ آخر، وتحدّث علماء البلاغة الذين جاؤوا بعد الجرجاني عن التقديم وأغراضه دون التطرق إلى التعريف به قبل ذلك. وذكر العلوي الحال المناسب للتقديم، فقال:((اعلم أنه إذا كان مطلع الكلام في إفادة معنى من المعاني ثم يجيء بعده ذكر شيئين وأحدهما يكون أفضل من الآخر وكان المفضول مناسباً لمطلع الكلام، فأنت هاهنا بالخيار فإنّ شئت قدّمت المفضول لِما له من المناسبة لمطلع الكلام، وإنّ شئت قدّمت الفاضل لما لهُ من رتبة الفضل))[3]، فالعلوي يرى أنّ التقديم يحصلُ بوصف أحد الركنين مفضولا فيتقدم على الآخر، وأسباب التفضيل كثيرةٌ لا مجال لذكرها في هذا المقام.

ونجد أنّ المحدثين قد أفادوا في وضع تعريف لأسلوب التقديم من تلك التصريحات والتلميحات التي أشار إليها علماء العربية فيما يتعلق بالتقديم، يقول أحد المحدثين عن التقديم إنّه ((تقديم جزء من الكلام بمقتضى البلاغة حقهُ أن يتأخر في الترتيب بمقتضى الأصل العام في القواعد))[4]، وهو أيضاً ((تغيير لبنية التراكيب الأساسية، أو هو عدول عن الأصل يكسبها حرية ودقة ولكن هذه الحرية غير مطلقة))[5].

وخلاصة القول أنّ الإشارات التي أشار إليها القدماء والتعريفات التي صاغها المحدثون توضح للدارس أسلوبيّة التقديم والتأخير في اللغة، فالجملة في العربية ما هي إلا عبارة عن تراكيب لها بنية معينة معروفة ذهنياً بحيث تكون الجملة إمّا اسميّة أو فعليّة تبعاً لبنائها وأسلوب التقديم والتأخير هو تغيير في هذه البنية أو عدول عن الأصل بتغيّر الكلمة عن مكانها، وهذا التحوّل في أماكن الكلمات داخل بنية الجملة يعطي تلك المفردات نوعاً من الحرية من حيث الحلول في أماكن أخرى هي ليست أماكنها في الأصل، غير أنّ هذه الحرية ليست مطلقة أو عشوائية تُحدث إرباكاً في الكلام وأخطاءً لا تقبل بها مقاييس هذه اللغة وقواعدها. وبناء على ما سبق يمكن القول إنّ التقديم هو عملية إزاحة وتحويل اللفظ من مكانهِ الأصلي (في البنية الأساسية) الى مكان آخر لغرض بلاغيّ يبتغيه المتكلم، وهنا لا نجد لفظاً من الألفاظ يتقدم أو يتأخر داخل التركيب إلا لغرض ومقصد معين فلكل لفظ مكانه اللائق ولو أجرى أي تبديل على

---

[1]– العسكري، الصناعتين ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، 1419هـ، ص134-135.

[2]– الجرجاني، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة (مطبعة المدني)، ط3، 1413هـ/1992م، ص106 .

[3]–ينظر: العلوي، يحيى بن حمزة بن علي إبراهيم، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ، دار الكب العلمية، بيروت-لبنان، 1980م،77/2 .

[4]–د. علي السيد، عزالدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار الطباعة المحمدية بالأزهرية، بدار الكتب، 1973 ، 134 .

[5]– د. مطلوب، أحمد، بحوث لغوية، دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1987 ،ص 41 .

أمكنتها لأختل النظام ولما عاد لهُ ذلك السبق والرونق الذي كان عليه من قبل. ولا بد في هذا المقام من ذكر بعض القرائن التي تتضافر في فهم التقديم وحفظ الترتيب وأهم تلك القرائن العلامة الإعرابيّة.

الرتبة:

لم تكن الرتبة غائبة في الدرس اللغوي عامة، والدرس النحوي خاصة، فقد ذكر النحاة القدامى الرتبة مفرّقة في سائر أبواب النحو العربي، غير أنّهم لم يفردوا لها باباً مستقلاً، ومن المعروف أنّ للرتبة أهمية كبيرة في تحديد الباب النحويّ عند غياب العلامة الإعرابية كما أشرنا إلى ذلك في مبحث الإعراب وحفظ الرتبة، كما أنّ لها وظيفةً أساسيّة في بناء المعنى النحويّ، وهي جزء من كلّ يساهم في بناء ذلك المعنى. فإذا ما أخذنا بمبدأ العلة نجد أنّ علَّة التقديم والتأخير تكمن في الرتبة، فالرتبة مفهوم نحويٌّ وقرينة لفظية لولاه لم يكن ثَمَّة تقديمٌ ولا تأخير؛ لذلك سأفصل القول في الرتبة.

الرتبة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: ((رتب: رَتَبَ الشيءُ يَرْتُبُ رتُوباً، وتَرَتَّبَ: ثَبَتَ فَلَمْ يَتَحَرَّكْ... ورَتَّبَه تَرتِيباً: أَثْبَتَه... وعَيْشٌ راتِبٌ: ثابِتٌ دائمٌ. وأَمْرٌ راتِبٌ أَي دارٌّ ثابِت... والرُّتْبةُ والمَرْتَبَةُ: المَنْزِلةُ عند المُلوكِ ونحوها... يقال: رَتَبةٌ ورَتَبٌ، كقولك دَرَجةٌ ودَرَجٌ. والرَّتَبُ: عَتَبُ الدَّرَج))[1].

وهذا التعريف هو الذي قدمته المعاجم العربية وقدمه الخليل في العين، و كلام الفيروز آبادي في القاموس المحيط لا يخرج عن هذا المعنى .

أما عند الشريف الجرجاني: فـ((المتقدم بالرتبة: هو ما كان أقرب من غيره إلى مبدأ محدود لهما، وتقدمه بالرتبة هو تلك الأقربية. وهما: إمّا طبعي، إن لم يكن المبدأ المحدود بحسب الوضع والجعل بل بحسب الطبع، كتقدم الجنس على النوع، وإما وضعي، إن كان المبدأ بحسب الوضع والجعل، كترتب الصفوف في المسجد بالنسبة إلى المحراب، أي كتقدم الصف الأول على الثاني، والثاني على الثالث، إلى آخر الصفوف))[2].

وعرّف الترتيب بأنّه: ((جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد، ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر))[3]. فالرتبة تدل على الثبات والمنزلة وتقدم الرتبة يعني الأقربية.

الرتبة قرينة نحويَّة لفظيّة من القرائن التي تتضافر مع القرائن الأخرى للوصول إلى المعنى، ويمكن عدّها جزءاً من النظام النحويِّ تعمل على تحدِيد موقع الكلمة في بناء الجملة[4]، وتقوم على فرضية مفادها أنّ كل كلمتين في الجملة بينهما ارتباط ينبغي أن تأتي إحداهما أوّلاً والأخرى ثانيًا، ويمتنع العكس إذا كانت الرتبة محفوظة، أمَّا إذا كانت الرتبة غير محفوظة – كما سنبيّن ذلك بالتفصيل لاحقا عند الحديث عن أنواع الرتب– فيجوز أن تتقدَّم إحدى الكلمتين في تعبيرٍ وتتأخَّر في تعبيرٍ آخر من غير انِّصاف أحد التعبيرين بالخطأ النحويِّ. ويلاحظ أنّ التجاذب بين الرتبة والإعراب موجود، فالرتبة أو الترتيب في اللغات غير الإعرابيَّة تُحدِّد الوظيفة التركيبيَّة لأجزاء الجملة وتكون الحكم في المعنى

---

[1]–ابن منظور، لسان العرب، مادة(رتب).

[2]– الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان. الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م، ص 201.

[3]–المصدر نفسه. ص ٥٧.

[4] – ينظر: د. حسّان، تمّام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 1994م، ص208.

غير أنّها لا تغفل أهمية السياق، أمّا في اللغات المعربة فتظهر مرونة الرتبة وإتاحتها حرِّيَّة الحركة لتلك الأجزاء؛ بسبب تكفُّل الإعراب بتحديد الوظيفة التركيبيَّة لها، فإذا خفي الإعراب انتفى ذلك ووجب الالتزام بالرتبة[1].

وفيما يتعلق بالترتيب في بناء أية جملة يلاحظ أنّه ليس شيء من أجزاء الكلام – في حد ذاته – أولى بالتقديم من الآخر من حيث التفاضل بلفظه– هذا بعد مراعاة ما تجب له الصدارة في الكلام كأدوات الشرط والاستفهام؛ لأنّ جميع الألفاظ –من حيث هي ألفاظ– تشترك في درجة الاعتبار.

معينة لكل لغة))[2]، أو قرائن يمكن أن يستدلّ بها على المعنى النحوي، ومن هذه القرائن: الرتبة وهي تشمل ما يكون له الصدارة في الجملة، وما يكون له التقدّم فهي تتجلى في ملاحظة موقع الكلمة التي تشغله في التركيب الكلامي، وأمّا أنواعها في اللغة العربية فهي تنقسم في النحو العربي على قسمين[3]:

أ . رتبة محفوظة :

تشير الرتبة المحفوظة إلى موقع الكلمة الثابت داخل حيّز التركيب الكلامي متقدّماً أو متأخراً بحيث لو اختلّ هذا الموقع لاختلّ التّركيب باختلاله، وعلى هذا الأساس تعدّ الرتبة المحفوظة كما تعدّ الرتبة على نحو عام من الظواهر الشّكليّة التي بواسطتها يمكن تحديد موقع الكلمة بين أقسام الكلم كما يمكن تحديد الأبواب النحوية وبالتالي معرفة وظائفها[4]، وقد عمد ابن السراج إلى إحصاء المواضع التي لا يجوز فيها التقديم فوصلت عنده إلى ثلاثة عشر موضعاً: فالثلاثة عشر التي لا يجوز تقديمها هي: الصلة على الموصول، والمضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى إلّا ما جاء على شريطة التفسير، والصفة وما اتصل بها على الموصوف، وجميع توابع الاسم حكمها كحكم الصفة، والمضاف إليه وما اتصل به على المضاف، وما عمل به حرف أو اتصل به حرف زائد لا يقدم على الحرف، وما شبّه من هذه الحروف بالفعل فنصب ورفع فلا يقدّم مرفوعه على منصوبه، والفاعل لا يقدّم على الفعل، والأفعال التي لا تتصرف لا يقدّم عليها ما بعدها، والصفات المشبهة بأسماء الفاعلين، والصفات التي لا تشبه أسماء الفاعلين لا يقدّم عليها ما عملت به، والحروف التي لها صدر الكلام لا يقدّم ما بعدها على ما قبلها، وما عمل فيه معنى الفعل فلا يقدّم المنصوب عليه، ولا يقدّم التمييز وما عمل فيه معنى الفعل، وما بعد إلّا وحروف الاستثناء لا يعمل فيها ما قبلها ولا يقدّم مرفوعه على منصوبه، ولا يفرق بين الفعل والعامل والمعمول بشيء لم يعمل فيه العمل[5].

ب . رتبة غير محفوظة :

يُقصد بالرتبة غير المحفوظة موقع الكلمة المتغير غير الثابت في التركيب الكلامي متقدّما أحياناً ومتأخراً أحياناً أخرى، وما اصطلاح التقديم والتأخير في مفهوم البلاغيين إلا انتظام هذه الرتبة غير المحفوظة، ومن أمثلة هذا النوع رتبة

---

[1] – ينظر: المصدر نفسه، ص208.

[2] –ينظر: أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6 ،1978م. ص295.

[3]– ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، 207–209، والخلاصة النحوية، د. تمام حسان، ص83–87.

[4]– ينظر: د. الساقي، فاضل مصطفى ، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، تقديم: د. تمام حسان، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1397هـ / 1977م.ص 186–187.

[5]– ينظر : ابن السّراج، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسَّسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط3، 1417هـ/1996م.2/222–223 .

المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول، ورتبة الضمير والمرجع، ورتبة الفاعل، والتمييز بعد جملة المدح والذم، ورتبة الحال والفعل المتصرف، ورتبة المفعول به والفعل، ورتبة الظرف والفعل[1].

والدارس لجهود علماء العربية يجد إشارات واضحة إلى مواضع لها علاقة بالرتبة تشمل مستويات اللغة كافة الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة منها ما ذكره ابن جني: ((رتبة المشتق منه أن يكون أسبق من المشتق نفسه))[2]، كما أشار أيضاً إلى الحالات الإعرابية فـ((الرفع في كل الأحوال أسبق في المرتبة من النصب))[3]، وهناك إشارة أخرى تتجلى من خلالها قرينة الرتبة، وذلك عند الحديث عن علّة تقديم منصوب (إنّ) على مرفوعها يقول العكبري: ((عمل الفِعْل فِي منصوبه أَضْعَف من عمله فِي مرفوعه لأنَّه في الرُّتْبَة متراخٍ عَنهُ فلَمَّا كَانَ المنْصُوب أَضْعَف والمرفوعُ أقوى جُعل الأضعف يَلِي (إنَّ) ليقوى بتقدمَّه فَيعْمل فِيهِ العَامِل الضَّعِيف وأخرّ الْمَرْفُوع لأنَّه بقوتَّه يَسْتَغْنِي عَن قُوَّة ملاصقة العَامِل))[4].

يتضح مما سبق أنّ الرتبة تعني موقع الكلمة الثابت أو المتغير في التركيب الكلامي، وإنّها نوعان محفوظة وغير محفوظة، وعند سيبويه نوعان أيضاً: لازمة وغير لازمة.

وما اصطلح عليه حديثاً بالرتبة، هو ما عبّر عنه العلماء بالتقديم والتأخير غير أنّنا نجد هنالك مواضع مختلفة تكون فيها الرتبة بمعنى الأهمية أو السبق أو العلة أو الترتيب المنطقي، منها رتبة أحرف القسم، ورتبة الواحد من الجمع، ومجيء اللام في اسم إنّ أسبق من خبرها، ورتب العلامات الإعرابية وحالات الإعراب من رفع ونصب وجر، ورتبة الحروف أسبق من الحركات الإعرابية. ومن الملاحظ أن لكل كلمة تشغل بابا نحويا رتبة محددة لكن الاستعمال يبيح تغيير هذه الرتبة ولاسيما الرتبة غير المحفوظة خضوعا لمطالب السياق[5].

عارض التقديم في الجملة الاسمية في القرآن الكريم ودلالته:

أولاً: عارض تقديم الخبر على المبتدأ:

يرى النّحاة أنّ الأصل في الجملة الاسمية تقديم المبتدأ وتأخير الخبر؛ وذلك حتى يتسنى تعقل المحكوم عليه وتحصيل صورته في الذهن قبل الحكم[6]، و((لأنّ المبتدأ محكوم عليه فحقه التقديم ليتحقق تعلقه فيكون حق الخبر التأخير لأنّه محكوم به))[7]؛ ولذلك كان الأصل في بنية الجملة الاسمية أن يؤخر الخبر؛ ((لأنّ الخبر يشبه الصفة من حيث إنّه موافق في الإعراب لما هو له، دالّ على الحقيقة أو على شيء من سببيّته؛ ولمّا لم يبلغ درجتها في وجوب التأخير

---

[1]– د. الساقي، فاضل ، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والمضمون،ص188

[2]– ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية (د ،ت) 2 / 34.

[3]– ابن جني، عثمان، سر صناعة الإعراب، دارسة وتحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم – دمشق، ط 2، 1413هـ/1993م، 544/2.

[4]– العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1416هـ/ 1995م، 208/1 .

[5]– ينظر:الخديدي، أمل منسي، عوارض التركيب في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات، رسالة ماجستير في النحو والصرف، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1428– 1429هـ. ص 112.

[6]– ينظر:د. أبو المكارم، علي، الجملة الاسمية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1428هـ/ 2007م.، ص52.

[7]– ينظر: الأزهري، خالد، شرح التصريح على التوضيح (التصريح بمضمون التوضيح في النحو) على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك،، تح: محمد باسل العيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1421هـ/ 2000م.، 213/1.

توسعوا فيه (وجوزوا التقديم إذ لا ضرر))[1]، غير أننا قد نجد بعض الأسباب التي تجعل هذا الأصل –الذي ذكره– واجب الالتزام به لا يصح الخروج عنه، كما توجد أسباب توجب عكس ذلك، وتفرض ذكر المحكوم به "الخبر" قبل المحكوم عليه" المبتدأ".

فالأصل الذي نصّ عليه النحاة تأخير الخبر غير أنّه يجوز تقديمه إذا أمن اللبس، وتحققت الفائدة المرجوة. ويرى النحاة أن الترتيب بين المبتدأ والخبر له ثلاثة أقسام[2]:

1– وجوب تقدم المبتدأ على الخبر.

2– وجوب تأخر المبتدأ عن الخبر.

3–جواز الأمرين، أي جواز تقديم الخبر أو تأخيره، وتأخير المبتدأ أو تقديمه.

تقدم الخبر على المبتدأ في القرآن الكريم:

ورد تقدم الخبر على المبتدأ في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وظهر لي عند دراسته أنّه قد ورد على ضربين الأول تقديم الخبر المفرد على المبتدأ، وهذا الضرب لم يرد بكثرة، وجاء في أغلبه متأوّلاً في المواضع التي ورد فيها، والثاني تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ، وهذا الضرب يشيع مجيئه في القرآن الكريم بكثرة.

أولا : تقديم الخبر المفرد على المبتدأ في القرآن الكريم :

ورد هذا الضرب في غير موضع من القرآن الكريم، لكني أود أن أسجل ملاحظة حول هذا الضرب، وهي أنّه قليل الورود قياساً إلى الضرب الثاني(شبه الجملة)، والأمر الآخر أنّ المواضع التي جاء فيها كان متأولاً بين الأصل المقرر، وهو الابتداء دون الخبر، والعارض الذي يجوّز مجيء الخبر مقدماً. وقد ظهر لي أنّ الخبر المفرد قد تقدم على المبتدأ في أمرين الأول في كلمة (سواء) والثاني: في غيرها من الأخبار المفردة:

أ – تقدم الخبر المفرد في لفظة (سواء) على المبتدأ في سياق همزة التسوية:

يبدو لي أنّ النظم في القرآن الكريم في هذا التقديم قد التزم طريقة أسلوبيّة أصبح من خلالها تركيباً له بنية محددة واضحة المكونات، هذا التركيب ورد في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وقد وجد الباحث أن بنية الجملة فيه تتكون من ثلاثة أمور: لفظة (سواء) وهمزة التسوية، و(أم العاطفة)، وسوف أوجز بيانها .

أمّا لفظة (سَواءٌ) فهي اسم بمعنى الاستواء أجري مجرى المصادر فلذلك لا يثنّى، وفي هذا يقول ابن يعيش:(("سواء" مصدرٌ في معنى اسم الفاعل في تأويل مُسْتَوٍ، والمصدر لا يثنَّى ولا يُجْمَع، بل يُعبَّر بلفظةِ الواحد عن التثنية والجمع، فيقال:((هذا عَدلٌ"، و"هذان عدلٌ"، و"هؤلاء عدلٌ))[3].

وأمّا همزة التسوية فلا يراد بها الاستفهام الحقيقي بل هي وما بعدها على معنى الخبر لا الإنشاء[4] يقول ابن هشام:((وربما توهم أنّ المراد بها الهمزة الواقعة بعد كلمة سواء بخصوصها، وليس كذلك بل كما تقع بعدها تقع بعد ما

---

[1]– الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، حققه، وشرح شواهده: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ط2، 1358هـ/ 1939م. 281/1.

[2]– ينظر: د. أبو المكارم، علي، الجملة الاسمية، ص 52.

[3]– ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، تح: اميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1422هـ /2001م،1/ 236.

[4]– ينظر:د. السامرائي، فاضل، معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة،(د، ت).، 200/4.

أبالي وما أدري وليت شعري ونحوهن. والضابط أنّها الهمزة الداخلة على جملة يصح حلول المصدر محلها))[1].أما الرضي فقد استبعد من قول ابن هشام (ما أدري) و(ليت شعري)، يقول: ((وأما همزة التسوية وأم التسوية، فهما اللتان تليان قولهم سواء وقولهم لا أبالي))[2] التسوية ((هي أن الاسمَيْن المسؤول عن تعيين أحدهما مستويان في علم السائل، أي الذي عنده في أحدهما مثلُ الذي عنده في الآخر))[3]. وأما (أم) فهي حرف عطف، وتسمى المتصلة:((لأنّ ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر))[4]، وقد ذكر الدماميني(828هـ) أنّها سميت متصلة لأنّها:((اتصلت بالهمزة حتى صارتا في إفادة الاستفهام بمثابة كلمة واحدة، ألا ترى أنّهما جمعياً بمعنى أيّ، فيكون اعتبار هذا المعنى أولى من الوجه الأول، لأنّ الاتصال على هذا الوجه راجع إليها نفسها لا إلى أمر خارج عنها، لكن هذا يتأتى في المسبوق بهمزة الاستفهام لا بهمزة التسوية، فيترجح الوجه الأول لشموله للنوعين))[5]، ويضاف أمر آخر إلى أنّ (أم) الواقعة بعد همزة التسوية:((لا تقع إلا بين جملتين ولا تكون الجملتان معها إلا في تأويل المفردين وتكونان فعليتين .. واسميتين))[6].

وقد ورد هذا النمط في القرآن الكريم مرفوعاً(سواء) في مواضع عديدة منها:

قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة:6)

فبنية الجملة في الآية الكريمة هي لفظة (سواء) وهمزة التسوية وأم العاطفة. وفي إعراب (سواء) أوجه منها أن يكون (سواء) خبراً مقدماً، وهمزة التسوية والفعل بعدها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر والتقدير:(الإنذار وعدمه سواء)[7]، والتقديم والتقديم هنا يدلّ على اختصاص الخبر بالمبتدأ وقصره عليه، ولذلك جاء الخبر مفرداً مرتبطاً بالجار والمجرور "عليهم"، بالإضافة إلى أنّ العدول هاهنا عن لفظ المصدر إلى لفظ الفعل لما فيه من إيهام التجدد والاستمرار، يقول الزمخشري:((فإن قلت الفعل أبداً خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام؟ قلت: هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى، وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلاً بيّناً من ذلك قولهم ((لا تأكلِ السمكَ وتشرب اللبن)) معناه: لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن، وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل))[8].

---

[1]– ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ،راجعه سعيد الافغاني ،مطبوعات جامعة حلب (د، ت)، ص24.

[2]– الإستراباذيّ، رضي الدين، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق وتصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، الناشر: جامعة قار يونس، ليبيا، (د.ط)، 1395هـ/1975م،409/4.

[3]– ابن يعيش، شرح المفصل،17/5.

[4]– ابن هشام، مغني اللبيب،ص61.

[5]– الدماميني، شرح الدماميني على مغني اللبيب ، صححه وعلق عليه ، أحمد عزو عناية، الناشر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط 1 ، 1428هـ –2007م.169/1.

[6]– ابن هشام، مغني اللبيب ، ص61.

[7]– العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د ،ت).، 21/1.

[8]– الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: د. فتحي عبدالرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ/1998م، 163-162/1.

ويجوز أن يكون مبتدأً، وما بعد التسوية في تأويل مصدر خبر، والتقدير:(سواء عليهم الإنذار وعدمه)، ولم يحتج هنا إلى رابط لأنّ الجملة نفس المبتدأ[1]. ويجوز أن يكون سواء خبر إنّ و (أأنذرتهم) وما بعدها بالتأويل المذكور في محل رفع بأنّه فاعل له: والتقدير: ((إنّ الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه))[2].

ويظهر لي أن هذه الأوجه التي ذكرتها جميعها جائزة، وفي هذا الجواز تظهر مرونة العارض في تعدد الأوجه الإعرابية بعيداً عن الشذوذ، ومنح المتكلم طرائق نظم واسعة ينتج عنها دلالات لها أثر كبير في إصابة المعنى، غير أنّي أميل إلى أن يكون إعراب سواء خبراً مقدماً وما بعدها مصدراً متأولاً مبتدأ؛ وذلك لأنّ القرآن الكريم جاء بذكر سواء مرتين على أصلها أي خبراً يتقدمها مبتدأ، ذلك كقوله تعالى:﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الروم:28) أنتم: متبدأ، وسواء: خبر. ولعل هذا يرجح ما ذهبت إليه، وكذلك قوله تعالى:﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلى ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾(النحل:71).

ومن ذلك قوله تعالى:﴿قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾(الشعراء:136)

حيث وقعت (سواء) خبراً مقدماً أي ((وعظك وعدمه، وجعلوا قوله وعظاً، إذ لم يعتقدوا صحة ما جاء به، وأنه كاذب فيما ادعاه، وقولهم ذلك على سبيل الاستخفاف، وعدم المبالاة بما خوفهم به))[3]، وعلينا متعلقان بسواء، والهمزة للاستفهام، و"أم لم تكن من الواعظين" معادل لقوله أوعظت وهمزة التسوية وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أي سواء علينا وعظك وعدمه، وإنّما أتى بالمعادل هكذا دون قوله أم لم تعظ لأجل الفاصلة كما ذكر أبو حيان(745هـ)، وعلل الزمخشري ذلك بـ((أنّ هناك فرقاً في المعنى لأنّ المراد: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشريه، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ))[4].

ومنه قوله تعالى:﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ (الأعراف:193) سواء: خبر مقدم، وعليكم جار ومجرور متعلقان بسواء، والهمزة للاستفهام، وهي همزة التسوية، وهي وما في حيزها في تأويل مصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، وأم عاطفة (متصلة)، وأنتم: مبتدأ، وصامتون خبر. يلاحظ في هذه الآية الكريمة أنّ (أم) عادلت بين جملتين فعلية واسمية – وقد وجدنا في الشواهد السابقة أنها لم تقع إلا بعد الجملة الفعلية التي فعلها ماض وجوّز في الآية لتقدم الفعلية وإلا لم يجز. يقول الزمخشري:((فإن قلت: هلا قيل: أم صمتم؟ ولم وضعت الجملة الإسمية موضع الفعلية؟ قلت: لأنّهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم، كقوله:﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ (الروم:33) فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل: إن دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم، وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم))[5].

قوله تعالى:﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاء وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء:109)

---

[1]– السمين الحلبي، أحمد بن يوسف ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق،(د، ط) و(د، ت).، 105/1.

[2]– ينظر: الزمخشري، الكشاف، 162/1.

[3]– أبو حيان، الأندلسي، البحر المحيط ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوقي ،د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت،1422/هـ /2001م، 32/7.

4– الزمخشري، الكشاف، 407/4.

[5]– المصدر نفسه،543/2.

الهمزة للاستفهام، وقريب: خبر مقدم، وأم: حرف عطف، وبعيد: عطف عليه، وما: مبتدأ مؤخر وجملة توعدون صلة[1]، وذهب العكبري[2] إلى تجويز أن يرتفع(ما توعدون) فيكون فاعلاً بقريب سد مسد خبره، وقريب مبتدأ، قال: لأنّه اعتمد على الهمزة أو ببعيد لأنّه أقرب إليه "فتكون المسألة من باب التنازع فإن كلا من الوصفين يصح تسلطه على (ما توعدون) من حيث المعنى[3]. ومن ذلك قوله تعالى:﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ (الجن:25). يتضح مما سبق أن هذا النمط من التعبير القرآني جاء في غير موضع، وقد جاء النظم مشتملاً على أجزائه الثلاثة التي ذكرناها، وجاءت (أم) المتصلة في النظم بعد همزة التسوية (بعد سواء) متوسطة بين جملتين فعليتين (فعلهما ماض) في خمسة مواضع ،وهذا الأصل، غير أنّها وردت مرة معادلة بين فعلية واسمية في قوله تعالى:﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ (الأعراف:193). وجاز ذلك لتقدم الفعل.

ومن تقدم الخبر المفرد على المبتدأ في القرآن قوله تعالى:﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر:5)

قوله(سلام): خبر مقدم، و(هي): مبتدأ مؤخر. وقيل: إنّ (هي) ضمير الملائكة و(سلام) بمعنى تَسْلِيمٍ، وعليه يكون التقدير: (الْمَلَائِكَةُ مُسَلِّمَةٌ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) أو(الملائكة ذات تسليم على المؤمنين) لأنّهم لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلموا عليه في تلك الليلة، وقيل: إنّ(هي) ضمير ليلة القدر، فيكون سلام بمعنى سلامة، أي: ليلةُ القَدْرِ ذاتُ سلامةٍ أو تسليم مَنْ شيءٍ مَخْوفٍ. وجوّز الأخفش أنّ (سلام) مبتدأ، و(هي) فاعل لسلام؛ لأنّه لا يشترط الاعتماد في عمل الوصف[4].

فتقديم الخبر المفرد على المبتدأ في هذه الآية غرضه الاهتمام؛ لأنّ هذه الليلة محط عناية اهتمام كل مسلم ومبلغ رجائه وأمنياته، والتقديم يوحي بتعجيل المسرة التي يلتمسها المسلم في هذه الليلة، حتى ذهبت مذهب الدعاء والرجاء لكل مسلم وقد وردت آثار كثيرة في فضلها.

ثانياً: تقدم الخبر" شبه الجملة من الجار والمجرور" على المبتدأ:

وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة نذكر منها:

تقديم الخبر شبه الجملة والمبتدأ اسم معرفة(معرف بـ(أل)):

يجوز تقديم الخبر على المبتدأ كما يجوز تأخيره إذا لم يكن هناك لبسٌ في الكلام. ومن مواضع شيوع تقدم الخبر على المبتدأ في القرآن الكريم جوازاً أن يكون المبتدأ اسم معرفة((معرّف بـ"أل"))، وقد ورد بكثرة في القرآن الكريم نذكر من تلك:

قوله تعالى:﴿لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ (البقرة :115)

فقوله:(لله): شبه الجملة في محل رفع خبر مقدم جوازاً. المشرق: مبتدأ مؤخر مرفوع. فالشروق زمنياً يقع قبل الغروب، وما من غروب إلا ويسبقه شروق، وهنا تقدم الخبر شبه الجملة "لله" على المبتدأ" المشرق"، وهذا التقديم يدلّ على أنّ موضع الشروق والغروب هما لله وحده وليس لأحد آخر من دون الله. وفي هذا التقديم معنى الاختصاص، فـ((تقديم

---

[1]– **ينظر: السمين الحلبي ، الدر المصون ، 217/8،.**

[2]– **العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ، 930/2.**

[3]– **ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 217/8.**

[4]– **ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ،11/ 64، و العكبري، التبيان في إعراب القرآن ، 1296/2.**

الظرف للاختصاص أي أن الأرض لله تعالى فقط لا لهم، فليس لهم حق في منع شيء منها عن عباد الله المخلصين))[1].

قوله تعالى:﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران:26)

فقوله (بيدك): شبه الجملة في محل رفع خبر مقدم جوازاً. (الخير): مبتدأ مؤخر مرفوع.

فقد ذكر الخير فيها جل شأنه دون الشر؛ لأنّ كلّ أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة؛ فهو خير كلّه. أو لأنّ من الأدب ألّا ينسب إليه الشر–كما لا نقول في (على) للاستعلاء إذا كانت مع لفظ الجلالة– فيكون من الاكتفاء، ويكون التقدير: بيدك الخير والشر، وحذف المعطوف جائز لفهم المعنى؛ إذ أحد الضدين يُفهم منه الآخر، ومنه قوله جل شأنه:﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ (النحل:81)أي والبرد[2].

ونقل أبو حيان عن الرازي قوله:((الخير فيه الألف واللام الدالة على العموم، وتقديم: بيدك، يدل على الحصر، فدل على أن لا خير إلاَّ بيده، وأفضل الخيرات الإيمان، فوجب أن يكون بخلق الله. ولأن فاعل الأشرف أشرف، والإيمان أشرف))[3].

قوله تعالى:﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ (النجم:25)

فقوله:(لله): شبه الجملة في محل رفع خبر مقدم جوازاً. (الآخرة): مبتدأ مؤخر مرفوع. وتقديم الخبر هنا((لإفادة الحصر، أي لله لا للإنسان))[4]. فقدم الآخرة على الأولى اهتماماً بردّ ما هو أهمّ أطماعهم عندهم من الفوز فيها، ولذا أردف ذلك بقوله تعالى:﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى﴾(النجم:26).

تقديم الخبر شبه الجملة والمبتدأ مخصص بالإضافة ومن ذلك:

قوله تعالى:﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾ (البقرة:115)

فثَّم: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم. وجه: مبتدأ مؤخر مرفوع مضاف، والله لفظ الجلالة ، مضاف إليه.

في قوله تعالى:(وجه الله) ذهب الزمخشري إلى أنّ "فثم وجه الله" أي جهته التي أمر بها ورضيها"[5]، ونقل أبو حيان قول الزمخشري وغيره "ثمّ وجه الله" أي قبلة الله فيكون الوجه بمعنى الجهة، وأضيف ذلك إلى الله حيث أمر باستقبالها، الوجه هنا صلة، والمعنى فثمّ الله أي علمه وحكمه... أو عبر عن الذات بالوجه...[6] وأفاد تقديم الخبر على المبتدأ الاختصاص أي إن الأرض لله تعالى لا لهم.

قوله تعالى:﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾(الرعد:14)

فقوله:(له): شبه الجملة في محل رفع خبر مقدم جوازاً. (دعوة): مبتدأ مؤخر مرفوع وهو مضاف. و(الحق) مضاف إليه. وفي إضافة الدعوة إلى الحق وجهان ذكرهما الزمخشري ((الأول: أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض

---

[1]– ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر: 1984م ، 683/1.

[2]– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، 2 /438.

[3]– المصدر نفسه ، 438/2.

[4]– أبو حيان، البحر المحيط، ، 27/ 112.

[5]– الزمخشري، الكشاف، 1/ 314.

[6]– ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ، 1 /530.

الباطل... والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة... والثاني: أن تضاف إلى الحق الذي هو الله عز وعلا، على معنى: دعوة المدعوّ الحق الذي يسمع فيجيب))[1]. وأمّا تقديم الخبر على المبتدأ فـ "لإفادة التخصيص، أي دعوة الحق ملكه لا ملك غيره، وهو قصر إضافي[2].

إن: نافية، ومن شيء من زائدة في المبتدأ، وإلا أداة حصر، وقوله (عندنا): ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم جوازاً. (خَزَائِنُهُ): مبتدأ مؤخر مرفوع مضاف وقد جاز التقديم في هذا الموضع لأنّ في المبتدأ ضميراً لا يعود على بعض الخبر. وتقدم الخبر على المبتدأ أفاد الحصر.

قوله تعالى:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾(محمد:10)

قوله: (للكافرين): جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم جوازاً. (أمثالها): مبتدأ مؤخر مرفوع مضاف. وقد جاز التقديم في هذا الموضع لأنّ في المبتدأ ضميراً لا يعود على بعض الخبر. والضمير في أمثالها عائد على العاقبة:((لأنّ العاقبة منطوق بها، فعاد الضمير على الملفوظ به))[3] والمقصود بالكافرين هم كفار مكة و يكون المعنى: ولكفاركم أمثال عاقبة الذين من قبلهم من الدّمار، وهذا تصريح بما وقع به التعريض للتأكيد بالتعميم ثم الخصوص[4].

تقديم الخبر شبه الجملة والمبتدأ مخصص بوصف:

ومن ذلك قوله تعالى:﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ (البقرة:7)

قوله (لهم): جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم، وتقدم الخبر على المبتدأ جوازاً؛ لأنّ المبتدأ نكرة مختصة بالوصف.(عذاب) مبتدأ مؤخر، و (عظيم) صفة مرفوعة. وتقدم الخبر على المبتدأ أفاد اختصاص الكفار بالعذاب العظيم.

وقوله تعالى:﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الحجر:4)

قوله (لها): جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم، وتقدم الخبر على المبتدأ جوازاً؛ لأنّ المبتدأ نكرة مختصة بالوصف.(كتاب) مبتدأ مؤخر، و (معلوم) صفة مرفوعة. وذكر أبو حيان: ((الظاهر أنّ الكتاب المعلوم هو الأجل الذي كتب في اللوح، ويدل على ذلك ما بعده. وقيل: مكتوب فيه أعمالهم وأعمارهم وآجال هلاكهم. وذكر الماوردي: كتاب معلوم أي: فرض محتوم))[5]، وتقدُّم الخبر على المبتدأ أفاد الاختصاص.

وقوله تعالى:﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾(الحجر:44) قوله (لكل): جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم، وتقدم الخبر على المبتدأ جوازاً؛ لأنّ المبتدأ نكرة مختصة بالوصف. (جزء): مبتدأ مؤخر، و(مقسوم): صفة مرفوعة. وتقدم الخبر على المبتدأ أفاد اختصاص كل باب من أبواب جهنم بجماعة تدخل منه ربطَتْ بينهم في الدنيا روابط معينة للاشتراك في معصيةٌ ما؛ وجمعهم في الدنيا وَلاءٌ ما، وتكوّنتْ بينهم مصالح في الدنيا في غير ما خُلقوا

---

[1]- **ينظر: الزمخشري، الكشاف ، 3 / 243-242.**

[2] - **ابن عاشور، التحرير والتنوير، 13/ 108.**

[3] - **أبو حيان، البحر المحيط ، 77/8.**

[4]- **ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 26/ 88.**

[5]- **أبو حيان، البحر المحيط ، 5/ 434.**

من أجله؛ ولذلك فعليهم الاشتراك في العقوبة والنكال وفي الجحيم أماكن تَأويهم جميعاً، كل جُزْء له قِسْم مُعيَّن به؛ وفي كل قسم دَركَات، لأنّ الجنة درجات، والنار دركات تنزل إلى أسفل[1].

عارض التقديم في باب النواسخ :

الأفعال الناسخة : تقديم خبر كان وأخواتها

التقديم والتأخير في كان وأخواتها:

الأصل فيها أنّ الترتيب بين كان ومعموليها من الاسم والخبر جائز، ما لم يوجب هذا الترتيب أو يمنعه، مع مراعاة أنّ الأصل تقدم "كان" يليها اسمها، يعقبه خبرها، فلا يجوز العدول عن هذا الأصل إلا لمبرر بلاغي. وإذا تقدّم الخبر على الاسم فهو للعناية والاهتمام؛ لأنّ الخبر في هذا المقام أولى بالاهتمام من الاسم. وقد ذهب الأنباري إلى أنّه لا يجوز تقديم اسم الفعل الناقص على الفعل، وعلل ذلك بقوله: ((لأنّ أسماءها مشبهة بالفاعل، والفاعل لا يجوز تقديمه على الفعل، فكذلك ما كان مشبّهًا به))[2].

وأمّا تقديم خبر الأفعال الناقصة على اسمها فموضع خلاف بين النحاة. فمنهم من ذهب إلى الجواز، ومنهم من ذهب إلى المنع.

وقد ورد تقدّم خبر الأفعال الناسخة على أسمائها في القرآن الكريم في مواضع عدّة نذكر منها:

قوله تعالى:﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ (آل عمران:13)

قوله:(لكم): شبه الجملة في محل نصب خبر مقدم، و(آية):اسم كان مؤخر مرفوع.

وقد قدّم خبر كان شبه الجملة (لكم) على اسم كان (آية للاهتمام به والاختصاص. والاختصاص حاصل من ناحتين الأولى: لام "لكم" تفيد الاختصاص، والثانية من تقديم شبه الجملة.

قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:145)

قوله: (لنفس): شبه الجملة في محل نصب خبر مقدم، والمصدر المؤول من أن وما في حيزها اسمها المؤخر، وذهب العكبري إلى أنّ قوله:(("إلا بإذن الله" الخبر واللام للتبيين متعلقةٌ بـ «كان»))[3]. وقد اعترض السمين الحلبي عليه من ناحتين: ((إحداها أنَّ (كان)الناقصةَ لا تعمل في غيرِ اسمِها وخبرِها، ولئِنْ سُلِّم ذلك فاللامُ التي للتبيين إنّما تتعلَّقُ بمحذوفٍ، وقد نَصُّوا على ذلك في نحوِ:"سُقياً لك"))[4]. والذي أميل إليه هو الوجه الأول؛ لأنّه في السورة نفسها وبعد آيتين من الآية ورد التركيب ذاته حيث إنّ الفعل (كان) مسبوقاً بـ(ما)، وكان الخبر اسماً مفرداً مقدماً واسم كان مصدراً مؤولاً مؤخراً. وتقديم الخبر على الاسم أفاد الحصر.

قوله تعالى:﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران:154) قوله:

---

[1]–ينظر: المصدر نفسه ، 8/ 62.

[2]– الأنباري، أسرار العربية، ص116.

[3]– العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 1/ 297.

[4]– السمين الحلبي، الدر المصون، 3/ 419.

(لنا): شبه الجملة في محل نصب خبر مقدم، وقيل الخبر(من الأمر)[1]، و يجوز أن يكون (من الأمر) متعلقاً بحال، (شيء): اسم كان مؤخر مرفوع. فتقديم الخبر على الاسم أفاد الاختصاص، أي: أمر النصر مختص بالله منفي عنهم.

قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء:73) قوله:(كانوا):كان فعل ماض ناقص، والواو: ضمير متصل في محل رفع اسمها، و(لنا): جار ومجرور متعلقان بعابدين. و((خصّهم بذكر ما كانوا متميزين به على بقية الناس من ملازمة العبادة لله تعالى كما دلّ عليه فعل الكَون المفيد تمكُّن الوصف، ودلت عليه الإشارة بتقديم المجرور إلى أنهم أفردوا الله بالعبادة فلم يعبدوا غيره قط))[2] والتقديم أفاد الحصر، أي: لنا موحدين مخلصين في العبادة، لا لغيرنا.

قوله تعالى:﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾(القصص:18)

قوله:(خائفاً):خبر أصبح منصوب، و(في المدنية) جار ومجرور متعلقان بالخبر، ويجوز أن يكون(خائفاً):حال، ويكون الخبر الجار والمجرور (في المدنية). واسم أصبح ضمير مستتر يعود على (موسى)[3]. وفي التقديم معنى العناية والاختصاص، فالخوف مختص بحال كونه صار بالمدنية.

قوله تعالى:﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (آل عمران:128)

قوله:(لك): جار ومجرور متعلقان بخبر ليس المقدم، و(من الأمر): جار ومجرور متعلقان بحال من شيء. و(شيء): اسم كان مؤخر. فالخطاب للنبي محمد صلى الله وسلم وما حصل في أحد من أذى للنبي وأعقبه بدء النبي بالدعاء على المدبرين عنه من أصحابه يوم أحد. فجاء النهي من الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم، والنفي يدل على أنّ الأمر ليس للنبي وإنّما لله وحده.

قوله تعالى:﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾ (هود:8)

قوله:(مصروفاً) خبر ليس منصوب، واسمها ضمير مستتر يعود إلى العذاب، وقوله:(يوم): ظرف زمان قيل متعلق بالخبر (مصروف) والتقدير: "ليس العذاب مصروفاً عنهم يوم يأتيهم العذاب"، ويكون هذا التوجيه هو ما استدلّ به جمهور البصريين على جواز تقديم خبر ليس عليها، كما يجوز تقديم خبرها على اسمها بلا خلاف؛ لأنّ تقديم المعمول يؤذن بتقديم العامل بطريق العامل، لأنّ العامل أصل والمعمول فرع، وإلّا لزم مزية الفرع على الأصل[4]، ذهب الكوفيون والمبرد من البصريين إلى أنّه لا يجوز تقديم خبر "ليس" عليها، وقيل:((إنما هو مرفوع بالابتداء، وإنّما بني على الفتح لإضافته إلى الفعل، كما قرأ نافع والأَعْرَج قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (المائدة:119) فإنّ (يَوْمَ) في موضع رفع، وبني على الفتح لإضافته إلى الفعل، فكذلك ههنا))[5]، ونقل العكبري عن بعضهم أنّ((العامل فيه محذوف دلّ عليه الكلام؛ أي لا يصرف عنهم العذاب يوم يأتيهم))[6]. وقال أبو حيان: ((وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم

---

[1]– العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 1/ 297.

[2]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 111/17.

[3]– ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 8/ 659،و العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 2/ 1018.

[4]– ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 6/ 292، والألوسي، روح المعاني، 215/6.

[5]– ينظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص143.

[6]– العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 2/ 690.

أظفر بتقدم خبر ليس عليها، ولا بمعمول، إلا ما دلّ عليه ظاهر هذه الآية))[1]. والصحيح ما ذهب إليه الكوفيون؛ لأنّ ليس فعل غير متصرف بنفسه ليتصرف تصرف الفعل في تقديم معموله عليه.

قوله تعالى:﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف:61)

قوله: (بي): جار وجرور متعلقان بخبر مقدم، و(ضلالة): اسم ليس مؤخر مرفوع. وقد جاءت (ليس) مجردة من تاء التّأنيث مع كون اسمها مؤنّث اللّفظ، وهذا جار على الجواز في تجريد الفعل من علامة التّأنيث، إذا كان مرفوعه غير حقيقي التّأنيث، والفصل بالمجرور. وتقديم الخبر على الاسم أفاد الاختصاص، يقول أبو حيان:((لم يرد النفي منه على لفظ ما قالوه فلم يأتِ التركيب لست في ضلال مبين بل جاء في غاية الحسن من نفي أن يلتبس به ويختلط ضلالة ما واحدة فأنى يكون في ضلال فهذا أبلغ من الانتفاء من الضلال إذ لم يعتلق به ولا ضلالة واحدة وفي ندائه لهم ثانياً والإعراض عن جفائهم ما يدلّ على سعة صدره والتلطّف بهم))[2].

يتضح ممّا سبق مجيء خبر الأفعال الناسخة مقدمة على أسمائها، وتقدم معمولها عليها وعلى خبرها كذلك ولاسيما إذا كان المعمول شبه جملة؛ لأنّه يتوسع بهما في الكلام توسعاً لا يكون لغيرهما، وكان تقدم خبر (كان) الأكثر وروداً؛ لأنّها أمّ الباب في الأفعال الناقصة، ويمكن القول إنّ الفائدة والغاية البلاغية الأهم لتقديم خبرها على اسمها تدور حول الاختصاص والحصر.

الأحرف الناسخة :تقديم خبر إن وأخواتها على اسمها، وتجاوز الرتبة :

وقد تقدم خبر الأحرف الناسخة على أسمائها في القرآن الكريم في مواضع عدة نذكر منها:

قوله تعالى :﴿إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة:20)

قوله:(الله): اسم إنّ منصوب، و(على كل): جار ومجرور، و(شيء): مضاف إليه مجرور، قدير: خبر إنّ مرفوع، يلاحظ أنّ معمول خبر إنّ قدّم، فكما أنّه يجوز تقديم الخبر على الاسم فإنّه يجوز تقديم معمول الخبر على الخبر نفسه، وهذا التقديم أفاد حصر القدرة لله وحده دون غيره واختصاص القدرة به لا بغيره.

قوله تعالى:﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(البقرة:130)

قوله:(في الآخرة): شبه جملة قيل فيه عدة أوجه منها: أنّه متعلق بالخبر (من الصالحين) والتقدير: إنّه من الصالحين في الآخرة، على شريطة أن تكون (أل) للتعريف وليست موصولة؛ لأنّها لو جعلت موصولة بمعنى (الذي) لوجب تقديم الصلة على الموصول[3]، وقيل: ((متعلق بمصدر محذوف تقديره (صلاحه في الآخرة)"[4]، وقيل: ((إنّ (أل) بمعنى الذي، الذي، وفي متعلق بفعل محذوف يبينه «الصالحين» تقديره إنه لصالح في الآخرة، وهذا يسمى التبيين))[5].

قوله تعالى:﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾ (آل عمران:13)

---

[1]– أبو حيان، البحر المحيط، 206/5.

[2]– أبو حيان، البحر المحيط، ،324/4.

[3]– ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 122/2، و العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 117/1.

[4]–النحاس إعراب القرآن، ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، العلمية، بيروت ،الطبعة: الأولى، 1421 هـ. ،1 /79.

[5]– العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 117/1.

قوله: (في ذلك): جار ومجرور متعلقان بخبر مقدم، و(لعبرة): اللام مزحلقة تفيد التوكيد عبرة اسم إنّ مؤخر مرفوع، و(لأولي): متعلقان بصفة من عبرة، الأبصار: مضاف إليه. والتقديم في هذه الآية أفاد الاهتمام بالشيء المشار إليه والمذكور في سياق الآية.

قوله تعالى:﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران:30)

وقوله:(بينها) ظرف مكان منصوب متعلق بخبر مقدم، و(أمداً) اسم إنّ مؤخر منصوب. وقدّم الخبر شبه الجملة على الاسم للاهتمام أي تكون الأعمال غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها.

قوله تعالى:﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾(النساء:131)

قوله: (لله): شبه الجملة في رفع خبر مقدم، و(ما): اسم موصول في محل نصب اسم إنّ المؤخر. فإنّ لله جميع ما في السماوات والأرض خلقاً ومُلكاً وعبيداً، فلا يضار بكفرهم، وهو الخالق للخلق كلهم والمتفضل عليهم فحقه أن يكون مطاعاً، وفي التقديم معنى الاختصاص والحصر فالذي في السماوات والأرض لله وحده دون غيره.

قوله تعالى:﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(الحديد:22)

قوله:(ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم (إن) وحذفت الألف اصطلاحاً، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، قوله:(على الله): جار ومجرور متعلقان بالخبر (يسير). قدم معمول خبر (إنّ) على الخبر. وجاء تقديم المجرور على متعلّقه وهو(يسير)؛ للاهتمام بذكره للدلالة على إمكانيةٍ، وقدرة في جانب علم الله تعالى .

قوله تعالى:﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التغابن:14)

قوله:(من أزواجكم): جارو مجرور متعلقان بالخبر المقدم، وقوله:(أَوْلَادِكُمْ): معطوف على أزواجكم مجرور، وقوله : (عدوا): اسم إنّ مؤخر منصوب.

وجاء ((تقديم خبر (إنَّ) على اسمها للاهتمام بهذا الخبر ولما فيه من تشويق إلى الاسم ليتمكن مضمون هذا الخبر في الذهن أتم تمكن لما فيه من الغرابة والأهمية))[1].

قوله تعالى:﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (النبأ:31)

قوله:(للمتقين): جار ومجرور متعلقان بخبر مقدم، و(مفازاً): اسم إنّ مؤخر منصوب. والمقصود بقوله:(مفازاً):((الجنة ونعيمها. وأوثرت كلمة(مفازاً) في النظم على كلمة: الجنة؛ لأنّ في اشتقاقه إثارة الندامة في نفوس المخاطبين. وأفاد تقدم خبر (إنّ)على اسمها الاهتمام به تنويهاً بالمتقين))[2].

ويتضح ممّا سبق أنّ التقديم والتأخير في الأحرف الناسخة ورد في القرآن الكريم بكثرة مطردة ولاسيما في (إنّ)؛ لأنّها أم الباب لذلك اختصت بجواز تقديم خبرها على اسمها، وكذلك تقديم معمول الخبر على الخبر، وكذلك اختصت بجواز دخول لام على الابتداء على خبرها وما جرى مجراه، دون سائر أخواتها؛ لأنها لم تغيّر معنى الابتداء كما غيرته أخواتها للتشبيه، والتمني، والترجي، و الاستدراك[3]. وتقدم خبر (كأن)مرة واحدة، وتقدم خبر (ليت) مرتين، ولم يرد تقدم

[1]– **ابن عاشور، التحرير والتنوير، 28/ 284.**

[2]– **ينظر: المصدر السابق، 43/30.**

[3]–**ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل ، 532/4**

خبر كل من (لكن) و(لعل). وجاء الخبر المقدم في الآيات المدروسة شبه جملة ؛لأنها قد اتُّسع فيها ما لم يُتسع في غيرها، لكثرة الاستعمال، وجاء التقديم في معظم المواضع ليدل على أهمية الخبر، واختصاصه، وحصره.

النتائج: من أبرز النتائج التي تمّ التوصل إليها:

* محاولة جمع ما أمكن من الأحكام المتفرقة الخاصة بعارض التقديم والتأخير المبثوثة في الأبواب النحوية وما للنحاة في مسائله من آراء.

العوارض دراسة أسلوبية للاختيارات والطاقات الممكنة المتعددة في النحو، مثل التقديم والتأخير وهي طرائق ووسائل يتغيّر بها الإطار الثابت(الهيكل) للجملة لبلوغ غايات ودلالات معينة.

*إنّ التقديم في بعض عناصر الجملة وتغيّر موقعها يكسب العنصر المتقدّم وظيفة دلاليّة زيادة على وظيفته النحوية، فهو وسيلة لإبراز أهميّة اللفظ المتقدّم في عناصر التركيب.*إنّ الجملة الاسميّة لديها القدرة على الاتّساع والتحوّل والتغيير مثل تقدّم الخبر على المبتدأ.*إن الضابط الأساس للتقديم والتأخير هو أمن اللبس. *إن ظاهرة التقديم والتأخير شائعة في القرآن الكريم، ولها دلالات معنويّة مرتبطة بموقع العنصر المتقدم أو المتأخر، والتقديم والتأخير لم يكن اعتباطياً بل يرتبط بترتيب المعاني بالنفس في الغالب.

*معظم أغراض التقديم والتأخير في القرآن أفادت معنى الاهتمام والعناية وهذا الغرض الأساسي للتقديم والتأخير هو ما عوّل عليه معظم المفسرين والنحاة والبلاغيين، وهو ما نصّ عليه سيبويه كغرض أساسي، والاختصاص والحصر في مختلف المواقع. وكذلك رعاية الفاصلة، ولكن نكتة التقديم والتأخير في هذا الأخير لا ترجع لمجرد رعاية الفاصلة ما لم يكن لذلك فائدة في المعنى بحيث يقتضيه المعنى تمام الاقتضاء، وقد يرتبط التقديم في بعض الحالات بالمعنى فيؤدي دوراً كبيراً في توضيحه.*معظم البلاغيين في تناولهم للتقديم والتأخير ركّزوا على الرتبة غير المحفوظة؛ لأنّ هذا موضع جواز وفيه تتفاوت أساليب البيان.

الخاتمة:

مما تقدّم يتضح أهمية مفهوم التقديم والتأخير في النظام اللغوي، وأهميتها في بناء الجملة ومظاهرها ومواقعها، ونخلص إلى أنّ موضوع التقديم والتأخير موضوع نحويّ بلاغيّ، لا يفصل فيه النحو عن البلاغة بأية حال من الأحوال، وعليه فإنّ دراسة هذا الموضوع تتطلب بالضرورة النظر في وجوه النحو التي تبحث موضوع التقديم والتأخير، وكذا وجوه البلاغة التي تتعلق بالتقديم والتأخير، وهذا ما عرض له الباحث في ثنايا البحث. ويعدّ التقديم والتأخير من أهم خصائص اللغة العربيّة حيث يدلّ على مرونتها واتساعها.

لاحظت في الجانب النظري للتقديم والتأخير أن كثيراً من المراجع الحديثة أصبحت تكرّر الصورة التي ظهر بها مبحث (التقديم والتأخير) عند الأوائل، دون أدنى تغيير أو تطوير، بل إنّها تكرّر الأمثلة ذاتها التي وضعت في تلك المصادر ممّا جعل الدرس البلاغي معزولاً عن الواقع وعن الاستعمالات الفعلية التي يظهر فيها الملمح الجمالي للتقديم، إضافة إلى بعده الأساسي عن بحث أسباب حركة عناصر الجملة ومخالفتها لترتيبها الأصلي، والأغراض الجماليّة الكامنة خلف هذه التغييرات، سواء أكانت خاضعة لقصد المتكلم أو للمقام أم لحال المخاطَب وغير ذلك ممّا لو أعيد النظر فيه من شأنه أن يبث في هذا الأسلوب روحاً جديدة وحيوية يحتاجها الدرس اللغوي اليوم أيّما حاجة.

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

– الأزهري، خالد، شرح التصريح على التوضيح (التصريح بمضمون التوضيح في النحو) على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، الشيخ خالد ، تح: محمد باسل العيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1، 1421هـ/ 2000م.

– الإستراباذيّ، رضي الدين، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق وتصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، الناشر: جامعة قار يونس، لبيبا، (د.ط)، 1395هـ/1975م.

– الأشموني، علي بن محمد، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك،حققه، وشرح شواهده: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ط2، 1358هـ/1939م.

– الأنباري، عبد الرحمن بن محمد، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ/1999م.

* الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق ودراسة، د. جودة مبروك محمد مبروك، راجعه: د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، ط1، 2002.

– أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6 ،1978 م.

– الجرجاني، علي، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان. الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م.

– الجرجاني، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة (مطبعة المدني)، ط3، 1413هـ/1992م.

– ابن جني، عثمان، الخصائص، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية (د ،ت) .

* سر صناعة الإعراب، دارسة وتحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم–دمشق، ط 2، 1413هـ/1993م.

– د. حسّان، تمّام، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، مصر، ط1، 1420هـ /2000م.

* اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 1994م.

– أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق د .زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية –لبنان/ بيروت،1422/هـ/2001م.

–الخديدي، أمل، عوارض التركيب في شعر عبيد الله بن قيس الرقيات، رسالة ماجستير في النحو والصرف، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1428– 1429هـ.

– الدماميني، محمد، شرح الدماميني على مغني اللبيب، صححه وعلق عليه ، أحمد عزو عناية، الناشر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط 1 ، 1428هـ –2007م.

– الزمخشري ، أساس البلاغة، ، تحقيق :محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان،ط1، /1998م.

* الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: د. فتحي عبدالرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ/1998م.

–د. السّاقي، فاضل مصطفى، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، تقديم: د. تمام حسان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1397هـ/1977م.

– د. السامرائي، فاضل، معاني النحو، د. فاضل السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة،(د، ت).

–ابن السّراج، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسَّسة الرسالة، بيروت– لبنان، ط3، 1417هـ/1996م.

– السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق،(د،ط) و(د،ت).

- ابن عاشور التونسي محمد الطاهر ، التحرير والتنوير: ، الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر: 1984م.
- العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د ،ت).
* اللباب في علل البناء والإعراب، تح: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر ، دمشق، ط1، 1416هـ/ 1995م.
– العلوي، يحيى بن حمزة بن علي إبراهيم، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ، دار الكب العلمية، بيروت– لبنان، 1980م.
– د.علي السيد، عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار المحمدية ، بدار الكتب ، 1973م.
– الفراهيدي، الخليل، العين، تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال(د،ت).
– مصطفى، إبراهيم، وآخرون. المعجم الوسيط، دار الدعوة، (د،ت).
– د. مطلوب، أحمد، بحوث لغوية، دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1987م.
– د. أبو المكارم، علي، الجملة الاسمية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1428هـ/ 2007م.
– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيروت ،1956م.
– النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ،الطبعة: الأولى، 1421 هـ.
- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ،تح: د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ،راجعه سعيد الافغاني ،مطبوعات جامعة حلب (د، ت).
– أبو هلال العسكري، الصناعتين ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، 1419هـ.
– ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، تح: اميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1422هـ /2001م.